المقدمة

تعتبر الطفولة المبكرة من أهم المراحل التى يمر بها الإنسان فى حياته، ففيها يتم وضع البذور الأولى للشخصية، وهى الفترة التى تشتد فيها قابليته للتأثر بالعوامل المختلفة، التى تحيط به، مما يبرز أهمية السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل، فى تكوين شخصيته، بصورة تترك أثرها فيه طيلة حياته، وتجعل تربيته فى هذه المرحلة أمرًا يستحق العناية البالغة[1]، من أجل تشكيل طاقاته، وإمكاناته، وقدراته، وتوجيهها بما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع العظيم.

والإحساس بأهمية الطفولة ليس حديثًا، فقضية الطفولة قديمة قدم التاريخ الإنسانى! ومنذ بدء الخليقة، اهتم الآباء بتربية أطفالهم، وتعليمهم، ورعايتهم، وحمايتهم، ونقل مالديهم من معرفة ومهارة لهم، وزاد هذا الاهتمام بالأطفال، وبلغ درجة عالية مع مرور الزمن، وزيادة المعارف[2]، حيث تشهد هذه الأيام اهتماما واسعًا بالطفولة المبكرة، فى شتى المجالات التربوية، والنفسية على المستويين الدولى والعربى.

ونظرًا لأهمية مرحلة الطفولة المبكرة، وحساسيتها، وأثرها فى تكوين مفاهيم الطفل، التى تتطور بتطور الحياة. ولما كانت نسبة ذكاء الطفل تزداد كلما كانت المثيرات البيئية حوله خصبة وسوية[3]، فإن هذا يدفعنا إلى الاهتمام بالتعليم فى الطفولة المبكرة، حيث تعتبر هذه المرحلة الأساس للمراحل التعليمية التالية، كما أن التعليم يعتبر مصدرًا مهمًّا لتكوين مفاهيم الطفل. "فالطفل الذى يحرم فى أثناء هذه

---

١) ناعمة حمد سلطان العريانى: "أثر مرحلة رياض الأطفال على التحصيل الدراسى"، مجلة التربية، العدد ٥٢، (أبو ظبى - يناير ١٩٨٧)، ص٢٢.

(٢) فتحية حسن سليمان: "تربية الطفل بين الماضى والحاضر"، القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٩، ص١١،

(٣) فؤاد البهى السيد: "الأسس النفسية للنمو"، ط٤، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧٥، ص١٧٠.

الفترة الحساسة فرصة التعليم، واكتساب المهارة، يكون بلاشك قد خسر كثيرًا، وإلى الأبد؛ لأن القدرات والمواهب الطبيعية، إذا لم تلق ما تحتاج إليه من الرعاية الكاملة، وفى الوقت المناسب، فإنها إمَّا أن تذبل، وتموت، وإمَّا أن تظل "طفلية" (infantile) وإذا صادفها شىء من الحظ، ونمت، فإنها تنمو نموًّا ناقصًا مشوها"[1].

إذًا، فالخبرات التعليمية المبكرة ضرورية ومهمة، فهى تنمى قدرات الطفل، وتعمل على ربطه بالعالم المحيط به، وتؤهله لأن يصبح مشاركًا فى المستقبل ومنتجا. ورياض الأطفال هى المكان الذى يجب أن يصل فيه الطفل إلى درجة كبيرة من النمو، فى شتى مجالاته، ويمكن من خلالها استثمار قدرات الطفل، وإشباع حاجاته، من خلال مجتمع الأطفال المُعَدّ له.

ونظرًا للتطور السريع فى مجال اكتشاف العلم، وحيث إننا نعيش فى عصر العلم، والتكنولوجيا، عصر الكمبيوتر والإنترنت، ذلك العصر الذى تسيطر فيه روح العلم على كل مشكلة من مشكلات حياتنا، فإن هذا يلقى بأعباء ثقيلة، ومسئوليات خطيرة على المربين، من أجل مساعدة الأجيال الصاعدة على مواجهة هذا التطور العلمى، وأن يتجه التربويون إلى استغلال مرحلة الروضة، كمدخل للتعليم العام فى تعليم الطفل الكثير، قبل التحاقه بالمرحلة الأُولى؛ حيث أصبحت الآن فكرة "برونر" القائلة بأن أى مادة يمكن أن تدرس لأى طفل، فى أى سن، طالما بدأناها من مستوى الطفل، مبررًا لكثير من المناهج التى توضع لصغار الأطفال[2].

ولما كانت برامج الأطفال هى أحد المصادر الرئيسية لتكوين مفاهيمهم، وهى قوة هائلة فى إنماء تلك المفاهيم، وتطويرها، وتوجيهها، فقد أصبح الآن من واجب التربويين، وخبراء الطفولة المبكرة، إعداد البرامج التى تلائم الواقع الجديد، وتتماشى مع التقدم العلمى المعاصر.. برامج شاملة لمبادئ وأساسيات العلوم، تقدم للأطفال منذ مرحلة الروضة. فقد بينت كثير من الدراسات، أن طفل الروضة بمقارنة أكبر منه، على درجة كبيرة من التقبل والميل للبحث، كما اتضح أن لديه قَدْرًا من

---

(١) فوزية دياب: "نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة"، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨، ص ١٧.

(2) See:feeldt Carol:(Curriculum for the Preschool - Primary Child), Bell & Howell Company. 1976. P.4.

الحرية، والإبداع، الأمر الذى من شأنه أن يجعل الطفل مستعدًا أن يرى، ويسمع، ويتذوق، ويشعر بأشياء كثيرة، وجديدة، كلما أمكن توفيرها له[1].

وإذا كانت أحد أهداف رياض الأطفال هى تربية عادات التفكير الجيد عند الطفل واكتسابه للخبرات العلمية، الفردية، والجماعية[2].. فإن هذا لايعنى التعليم بطريقة التلقين من الكتب المدرسية، ولكن يعنى توفير البيئة المناسبة للطفل، لتنمية رغبتة فى حب الاستطلاع، وإتاحة الفرصة له، لكى يستكشف بنفسه بعض عناصر البيئة المحيطة به، وأن يتعامل مع الأشياء، ويجرب بنفسه فى حدود إمكاناته، وقدراته، ويدرك العلاقات بين الأشياء وبعضها، ويبحث، ويسأل، ويستفسر، ويصل إلى حلول لتساؤلاته.

فالطفل بطبيعته محب للبحث، والاستطلاع، والتجريب؛ فهو يشاهد، ويتعجب، ويدرس، ويبحث، ويكتشف، ويسأل، وعندما يفعل كل ذلك، فإنما يمارس العلوم كجزء من حياته اليومية، ويبدو أن الطفل الصغير والعلوم متلازمان، ويناسب كل منهما الآخر، فالطفل نشط فضولى، ويحب أن يتناول الأشياء ويجربها ويختبرها، ويحب أن يسأل ويستفسر، وتتوافر لدى الطفل كل الخواص التى تلزم دراسة العلوم[3]. لقد أصبح من حق صغار الأطفال أن يتعلموا العلوم، لأنها تساعد على تنمية عملياتهم الإدراكية، كما تساعد على تنمية مفاهيمهم العلمية.

والسؤال الذى يواجهنا الآن هو: أين البرنامج العلمى، الذى يعد لطفل الروضة، كاستجابة للتطور العلمى المعاصر؟. لقد أصبحت هناك حاجة ملحة إلى ضرورة إعادة النظر فى البرامج المقدمة لطفل الروضة، وإعدادها بحيث تساعد الطفل على اكتساب المعلومات، والمهارات، والاتجاهات، والمفاهيم العلمية، وتوفر له الخبرات، والتجارب العلمية المبسطة، وتشبع حاجته للمعرفة من أجل مساعدة هذا النشء الصاعد على مسايرة عجلة التقدم والتكنولوجيا.

---

(١) إليزابيث ميشام فولر: "رياض الأطفال" ترجمة عفاف محمد فؤاد، ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص٢١.

(٢) مركز دراسات الطفولة: "دليل للعمل فى الحضانة ورياض الأطفال"، القاهرة مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٩، ص٧.

(3) Leeper, Sarah H. and Others: (Good Schools for Young Children), 5th Ed. New York, Macmillan Publishing Company, Inc., 1984, P.337.